١) مشكلات العلم وكيف أُسيء وضعها – تضارب المدارس في نظرياتهاكثيرًا ما يقال إن موضوع علم الجمال صورة من الصور الرئيسية للمثل الأعلى الإنساني وهي: الجمال. وهذا القول يكون صحيحًا مقبولًا إذا كان المقصود بكلمة المثل الأعلى هو اللاواقع أو صفة الخيال والإيهام التي تشترك فيها الألعاب مع الأعمال الفنية؛ لكن إذا فهمنا من القول السابق أن المثل الأعلى هو تعديل أو تحوير للواقع بقصد تحسين هذا الواقع لكان من نتيجة فهمنا هذا استبعاد للواقعية لمصلحة المثالية. تمثل صورة واتجاهًا من صور الفن واتجاهاته، فهي فهم للجميل له ما يبرره. إذَن فعلى علم الجمال أن يقبل وجود كل المدارس وأن يفهمها دون أن يفرّق بين الواقعية والمثالية، بين الكلاسيكية والرومانسية، أو بين اتجاه البدائيين les primitifs واتجاه التدهوريين les décadents.العلم الحق يعلو فوق المشاحنات والتضاربات، وإن علم التاريخ الحق ليعلوان على الأحزاب السياسية. إن العلم الحق يجتهد في التأليف بين الاتجاهات المختلفة مختارًا من كل مدرسة ما قد أتت به من نتائج إيجابية فعالة، متجاهلًا منها ما كان صدودًا عقيمًا عن اتجاهات الآخرين؛ لأن هذا الصدود إنما ينمُّ عن عدم فَهم لهؤلاء الآخرين، بل قد يتم أحيانًا عن عدم فهم المدرسة لآرائها ذاتها.وسنرى فيما بعد أن هذا التأليف يحدث من تلقاء ذاته عند المراحل المتتابعة من التطور الفني. وعلى سبيل المثال: نرى أن تعارض المدرسة الواقعية والمثالية ليس في جوهره إلا تتابعًا أو تناوبًا يحدث بين مرحلتين عاديتين من مراحل تطور فن واحد.١–١) الإستطيقا الموضوعية والإستطيقا الذاتيةما زالت المناقشة محتدمة حتى اليوم حول ما إذا كان يجب أن تكون الإستطيقا — علم الجمال — علمًا موضوعيًّا أو علمًا ذاتيًّا. وبناء على الفرض الأول نقول إن الجمال كائنٌ ما، إنما ينبع من صفات خاصة بهذا الكائن أو العمل. وهذه الصفات تصل من الخارج إلى عقل المتأمل بطريقة قريبة من التأثير الضوئي وهو ينطبع في شبكية العين. فالمتأمل ليس هو الذي يخلق هذه الصفات بل لو حدث أن تدَخَّل هو ليعدلها؛ فإن تعديلها لن يكون إلا تشويهًا. هذا هو شأن الجمال المطلق عند أفلاطون، والجمال عنده — مثله مثل الخير والكمال اللذين يعكسهما — يوجد قبل أن نوجد نحن وبدوننا وخارجًا عنا، ويمكن أن نوضح الأمر بمثال ملموس فنقول إن القيمة الإستطيقية لحيوانٍ ما تعتمد على مكانه السامي أو المنحط في سلَّم الكائنات كما يرتبه علماء الطبيعة. فإذا نحَّينا وجهات النظر الأخرى جانبًا؛ فإن الجمال الإنساني أسمى من الجمال الحيواني، والجمال الحيواني أسمى من الجمال النباتي أو الجمادي، ينكر علم الجمال الذاتي بحقّ وجود هذا الجمال الخارجي الذي لا يعتمد في شيء على طبيعتنا العضوية والمفكرة. إن الجمال الوحيد الذي يمكن لنا أن نتحدث عنه لا يوجد إلا «فينا وبنا ومن أجلنا». إن جمال أو قبح الأشياء والأشخاص لا يرجع إلى طريقة وضعها خارجًا عنا، بل يرجع إلى الطريقة التي نتصوَّرها بها في فِكرنا. فهي ليست قبيحة وليست جميلة في ذاتها، وكل صفة هي خارجة عن جوهرنا فنحن الذين نضفيها عليه.ومثال ذلك أن غروب الشمس يثير في نفس الريفي فكرة على جانب قليل من الجمال هي فكرة العشاء مثلًا، ويثير في نفس عالم الطبيعة فكرة التحليل الطيفي، وهذا شيء ليس من الجمال أو القبح في شيء، بل هو شيء يمكن فقط أن يكون صحيحًا أو غير صحيح؛ إن غروب الشمس ليس جميلًا إلا لمن نظر إليه بعينَي فنان، لن يزيد علم الجمال عن أن يكون بابًا من أبواب علم النفس. اتجاه تدعَّم بعد «نقد» كانط ١.kant وكان كانط يرى أن جمال الشيء لا علاقة له بطبيعة هذا الشيء، وإنما هو نتيجة «للعب حر للخيال والفهم» يحدث لدى المشاهد وهو أمام الشيء أيًّا كانت طبيعة هذا الشيء خارجًا عنه.وما زال التعارض بين الشخص المفكِّر والموضوع المفكَّر فيه يكوِّن شبه مشكلة يواجهها الباحثون حتى الآن. والواقع أن المسألة الحقيقية ليست البحث في فصل هذين الجانبين بل في تعاونهما. فكما أنه لا يوجد إبصار بدون شبكية ولا أشعة ضوئية — إلا في حالة الهلوسة أي في حالة الخطأ — كذلك الفنان لا يعجب «بطريقة ذاتية» إلا بما كانت له نسب منسجمة «موضوعيًّا». وإن جمال الأنغام المتسقة consonance وقبح الأنغام المتنافرة dissonance يعتمد جزئيًّا علينا نحن وعلى اهتزازنا الشخصي، وإن الشخص الذي لا يراعي في إعجابه الشخصي طبيعة الأعمال موضوع الإعجاب، لا يمكن إلا أن يكون مجنونًا.إذَن فالإستطيقا علم موضوعي وذاتي في وقت واحد ودون انفصال. وهذا يعني أن قوانين الجمال ليست خاصة بالمواضيع المفكَّر فيها ولا بالشخص الذي يفكر فيها، بل هي عبارة عن بعض علاقات بين الجانبين، هي عبارة عن صور للتفاعلات العديدة المتبادلة بينهما.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي